

البنية التركيبية لأسلوب الاستفهام في ضوء النحو الوظيفي دراسة تطبيقية في سورة الكهف

The Synthetic Structure of the Interrogative Style in the light of functional grammar: An applied study in Surat Al-Kahf

راشد بلال أحمد الزيودي

Rashed Bilal Ahmad Al-Zyouidi

[10.15849/ZJJHSS.230330.07](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.230330.07)

المُلخَص

حَرَصَ هذا البحثُ استقراءَ الأسسِ الخاصَّةِ بنظريَّةِ النُّحوِ الوظيفيِّ وفق رؤية أحمد المتوكِّل، وبيان آليات تحليل الأشكال التركيبية في جمل الاستفهام الواردة في سورة الكهف في ضوء (الجهاز الواسف)، وتوزيع أنماط الجمل وظيفياً وفق البنى الحملية ونوع المحمول فيها والمخصَّصات الموزَّعة عليها. وتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تفصيل عناصر هذه الوظائف ووصفها، وتطبيقها على تراكيب أسلوب الاستفهام الواردة في السورة الكريمة. وتوصَّلَ البحثُ إلى جملة من النتائج، كان أهمُّها أنَّ الوظيفية أسهمت في ربط البنية اللغوية بوظيفتها التواصلية، وأنَّ تراكيب الاستفهام تميَّزت جُمُلاً بالعناصر الداخلة عليها، إذ كانت لها القوَّة الإنجازية في أداء الوظيفة. وأسهمت أداة الاستفهام في تحقيق المخصَّصات التي تربط أواصر المركبات والعناصر في الجملة. أمَّا الجمل الرابطية التي جاءت فيها الآيات الكريمة فتدُلُّ على أنَّ الربط فيها موقعي، تبعاً لطبيعة العنصر المتصدِّر في التراكيب. الكلمات المفتاحية: النحو الوظيفي، سورة الكهف، الجهاز الواسف، الاستفهام، أحمد المتوكِّل.

Abstract

This research was keen to extrapolate the foundations of the theory of functional grammar according to Ahmed Al-Mutawakil's vision, and to explain the mechanisms of analyzing synthetic forms in the interrogative sentences contained in Surat Al-Kahf in the light of (the descriptive device), and to distribute the patterns of sentences functionally according to the predicate structures, the type of predicate in them, and the allocations distributed to them. The researcher followed the descriptive analytical approach in detailing and describing the elements of these functions, and applying it to the structures of the interrogative method mentioned in the Noble Surah.

The research reached a number of results, the most important of which were: that functionalism contributed to linking the linguistic structure with its communicative function, and that interrogative structures were distinguished by the elements included in them, as they had the performing force in performing the function. The interrogative tool contributed to the realization of the provisions that link the bonds of compounds and elements in the sentence. As for the linking sentences in which the noble verses came, they indicate that the linking is my position, depending on the nature of the leading element in the structures.

Keywords: Functionalism, Surat Al-Kahf, the descriptive device, the predicate structures, the interrogative, Ahmed Al-Mutawakkil.

(1) Ministry of education- Jordan-PhD student, The Hashemite University, Faculty of Arts, Arabic language and literature, Linguistics and grammar
* Corresponding author: Rashed90.zvoud@gmail.com
Received: 14/12/2022
Accepted: 16/03/2023

(1) وزارة التربية والتعليم الأردنية، طالب دكتوراه، الجامعة الهاشمية، كلية الآداب، اللغة العربية وآدابها، علم اللغة والنحو * للمراسلة: Rashed90.zvoud@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2022/12/14

تاريخ قبول البحث: 2023/03/16

المقدمة

- أهداف الدراسة وأهميتها

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الموروث اللغوي العربي ومدى ارتباطه بالدراسات اللسانية الحديثة، لبيان جانبها الوظيفي، بغية التعرف إلى آليات التطبيق التحليلي للنصوص في ضوء النحو الوظيفي؛ بالتركيز على العلاقة الكامنة بين البنية والوظيفة في القرآن الكريم. وتتنظر إلى تفعيل النحو الوظيفي الحديث بما يتطلبه اتخاذ التراث اللغوي العربي مرجعا عند البرهنة والتحليل. وتعدُّ تطبيقا لتحليل أنماط تركيبية لأسلوب إنشائي تدخل عليه المكونات الإسنادية الفعلية والاسمية، وهي من الدراسات التي تسهم في الحقل اللغوي والدراسات النحوية للقرآن الكريم؛ للكشف عن قيمة أسلوب الاستفهام وأهميته في ضوء تحليل النحو الوظيفي للجمل والتراكيب.

- منهج الدراسة

اعتمد الباحث المنهج الوصفي لرصد الحقائق وتحديد الطرق والعوامل، والتحليلي الذي يعدُّ عملية عقلية لقراءة المركبات وعناصرها وتقنيك البيانات، وكشف الدلالات التي يمكن إدراكها بعد هذا التقنيك إدراكا مفهوما واضحا؛ وذلك بالنظر في تعالق المركبات المكونة للسياق، وتحديدًا في أسلوب الاستفهام في ضوء نظرية النحو الوظيفي.

أمَّا المعيارُ العمادُ فكان نظرية أحمد المتوكل⁽¹⁾ أنموذجا في تصنيف الجملة وتحليلها الذي اعتمدته نظرية النحو الوظيفي؛ إذ صنّف أحمد المتوكل الجملة العربية بالنظر إلى محمولها في استقراء البناء التركيبي⁽²⁾. فإذا كان المحمول فعلا فالجملة فعلية، وإن كان المحمول غير فعل فالجملة اسمية. وهو تصنيف قائم على فكرة الإسناد. ومن ثمّ النظر في الجملة من حيث الزمن والإثبات والنفي، والبساطة والتكبي. إضافة إلى أن الوظيفة تعتمد على البنية الموقعية لكل جملة، وعلى الجهاز الواصف بدءا بتصنيف الجمل من حيث بنيتها على أساس الفعلية والاسمية، ثم التعرّض إلى الوظائف المختلفة لتلك البنيات التركيبية، الدلالية، التداولية.

وعطفا على ما تقدّم، فإنّ الدراسة انتلفت من محثين: الأول تنظيري تأطيري، والثاني تطبيقي. جاء المبحث الأول بيانا لأسس نظرية النحو الوظيفي، وتوضيح آلية التحليل الوظيفي للتراكيب النحوية في ضوء منهج أحمد المتوكل. أما المبحث الثاني فجاء تطبيقيا تحليليا لنماذج من أساليب الاستفهام التي حصرها الباحث وصنّفها في

(1) أحمد المتوكل: أكاديمي ولغوي مغربي (ولد في الرباط سنة 1944)، ودرس في ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث حصل على البكالوريا، ثم انتقل إلى الدراسة في كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية وآدابها، حيث حصل على الإجازة في الأدب واللغة الفرنسيين، ثم حضر دكتوراه السلك الثالث في اللغويات، وكانت رسالته عن (أفعال الاتجاه في اللغة الفرنسية) في إطار مقارنة سيميائية، وبعد ذلك هيا داخل القسم العربي شهادة في الأدب المقارن، ثم حضر دكتوراه الدولة في اللسانيات، وكان موضوع هذه الأطروحة (نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم). عمل مدرّسا في كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط في القسمين الفرنسي والعربي، وكان يدرس التداوليات، ثم تخصص في تدريس النحو الوظيفي خاصة مدرسة امستردام التي كان أول روادها الأستاذ (Simon C. Dik). ودارت مؤلفاته على محورين اثنين: محور العلاقة بين الفكر اللغوي القديم والدرس اللغوي الحديث، والمحور الثاني وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية من منظور نظرية النحو الوظيفي.

(2) ينظر: المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985، ص82. والمتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د.ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص107-108.

سورة الكهف في ضوء نظرية النحو الوظيفي عند أحمد المتوكل؛ لبيان ما رافقها من تعالق مع مركبات نحوية أخرى، وللنظر في توزيعها ضمن أنماط الجملة العربية في ضوء الوظيفية، واستقراء وظائفها التركيبية والدلالية والتداولية.

- مشكلة الدراسة

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في صعوبة تحديد مرتكز نظرية النحو في تقسيمه للجملة، وبيان جديد هذه النظرية وتقسيماتها، وعدم توفر المراجع العربية المؤصلة لنظرية النحو الوظيفي وخصوصاً كتب سيمون ديك، إضافة إلى تشتت القضايا التي عالجها المتوكل في كتبه المختلفة.

- تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الأسس التي قامت عليها نظرية الوظيفية التي جاء بها أحمد المتوكل؟
- ما الأشكال التركيبية الداخلة على جمل الاستفهام الواردة في سورة الكهف في ضوء توزيع أنماط الجمل وظيفياً وفق البنى الحملية ونوع المحمول فيها والمخصصات المؤزعة فيها؟
- ماذا نستنتج من تحليل البنى الحملية لجمل الاستفهام واستقراءها في آيات القرآن الكريم - في سورة الكهف- وفق منهج الوظيفية (الجهاز الوصف) عند أحمد المتوكل؟

- الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي وجدها الباحث: (الجملة في اللغة العربية، البنية والوظيفة، دراسة في سورة القمر أنموذجاً)، (أطروحة دكتوراه)، للباحث رياض حرّاد، 2014، الجزائر. درس فيها الباحث الجمل الاسمية والفعلية في ضوء نظرية النحو الوظيفي، إذ جاء الفصل الأول لمعالجة مفهوم الجملة والكلام في الدرس اللساني والتراثي، والتأطير لنظرية النحو الوظيفي بدءاً من النحو العام إلى الوظيفة. تبع ذلك الفصل الثاني الذي يدرس الجملة الفعلية في سورة القمر بتقسيماتها الوظيفية في ضوء منهج أحمد المتوكل، والثالث كان تطبيقاً كذلك في الجملة الاسمية. ومما تفتقرُ به دراستنا عن الدراسة السابقة أن دراستنا تعالج أسلوباً لغوياً مع تنوع نوع الجملة الداخلة عليه، وبأنها تُحلّل الأنماط التوزيعية لأسلوب الاستفهام بتنوّع المحمولات الداخلة في تلك الجمل.

إضافة لدراسة بعنوان: (النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي: دراسة في نحو الجملة)، (أطروحة دكتوراه)، للباحث الزايد بودرامه، 2014، الجزائر. قدّم فيها الباحث مقاربات بين نحو اللغة العربية الوظيفي والدرس اللغوي العربي القديم في موضوعات عدّة، منها: نظرية النحو الوظيفي تنظيراً ووصفاً، بيان مفهوم التوجّه الوظيفي ومهامه ومبادئه، تأصيل مفهوم الجملة في ضوء النظرية، البنية الحملية، البنى الوظيفية والبنى المكونية، معالم الوظيفية في التراث اللغوي العربي نحواً وبلاغة، نقاط الاتفاق والاختلاف بين الوظيفية والدرس اللغوي العربي القديم. ثمّ تبع ذلك الفصل التطبيقي الذي يبحث في الكفاية بين الوظيفية والدرس اللغوي العربي القديم. أمّا نقاط الافتراق فتمثلت في أنّ دراستنا تقتصرُ على أسلوب لغوي واحد، وأنّ دراستنا تحاول الكشف عن الأنماط التي تأتلف منها جملة الاستفهام في القرآن الكريم، وتحليل العناصر المكونة للجملة في ضوء هذه النظرية، وبيان

الوظائف النحوية التي يمكن لأسلوب الاستفهام القيام به في أداء المعنى بالتعاقد مع العناصر التركيبية الأخرى المكونة للجملة.

ولا ننسى أهم الكتب⁽¹⁾ التي ناقشت قضية الجملة نظرياً وتطبيقياً، وحاولت أن تبين القوانين العامة التي تحكم بناءها، وأن ترصد اتجاهات البحث النحوي في هذه القضية. وقدّمت بحوثاً عدّة تصورات عن بناء الجملة في نصوص معينة، وجلّ هذه البحوث رسائل علمية مطبوعة أو غير مطبوعة، لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالأصول التطويرية للدرس النحوي العربي في ضوء نظرية النحو الوظيفي، فضلاً عن الدروس التطبيقية التحليلية.

■ أولاً: نظرية النحو الوظيفي عند أحمد المتوكل: الأسس، والمنهج.

عرفت الدراسات اللسانية الغربية الحديثة عدداً من الاتجاهات التي تسعى إلى مقارنة اللغة، منها الاتجاه البنيوي، والاتجاه التحويلي التوليدي، والاتجاه الوظيفي. وتعدّ نظرية النحو الوظيفي التي جاء بها الهولندي (سيمون ديك) سنة 1978م من النظريات الحديثة المهمة؛ إذ أرسى هذا اللغوي دعائم جديدة في الدراسات الوظيفية وأبحاثها. ثمّ تبني أحمد المتوكل هذه الأفكار محاولاً بذلك التأسيس لنظرية وظيفية عربية تدرس اللغة العربية، واستثمارها في بناء نظرية وظيفية مثلى قوامها كثير من المبادئ التي تسهم في بيان الوظائف المتعددة. ومن المفيد الإشارة إلى النظريات الوظيفية التي سبقت نظرية المتوكل؛ لأنها تعدّ بمنزلة خلاصة لأهداف ومنطلقات هذه النظريات، ومن أبرزها⁽²⁾: "النسقية الوظيفية" و"الوجهة الوظيفية للجملة" و"التركيبات الوظيفية" و"الفرضية الإنجازية"، وآخرها "نظرية النحو الوظيفي" التي بدأت عند "سيمون ديك" ثمّ تبناها المتوكل. يقوم النحو الوظيفي على مبادئ أساسية تقوم عليها النظريات الوظيفية، نحو: أداتية اللغة، ووظيفة اللغة والأداة، اللغة والاستعمال، سياق الاستعمال، اللغة والمستعمل، القدرة اللغوية، بنية اللغة، تطور اللغة، الكليات اللغوية، اكتساب اللغة⁽³⁾. ويمكن إجمال المبادئ السابقة في أربعة مبادئ أساسية⁽⁴⁾، هي: أنّها أداة للتواصل*، ووظيفة تعبيرية وإقناعية*، وقدرة تواصلية**، وبنية اللغة***.

(1) من أهم تلك الدراسات والكتب: "بناء الجملة العربية" لمحمد حماسة، و"الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية" لمحمد عبادة، و"الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً" لفتحي الدجني، و"مدخل إلى دراسة الجملة العربية" لمحمد نحلة، و"نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث" لنهاد الموسى، و"الجملة العربية والمعنى" و"الجملة العربية: تأليفها وأقسامها" لفاضل السامرائي، و"الجملة الاسمية" و"الجملة الفعلية" و"التركيب الإسنادية" لعلي أبو المكارم، و"دراسات في اللسانيات العربية: (بنية الجملة العربية)" لمصطفى السيد، ... وغيرها.

(2) المتوكل، أحمد: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي. ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص61-63.

(3) المليطان، محمد الحسين: نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم. ط1، دار الأمان، الرباط، 2014، ص18-19.

(4) * أداة التواصل: ويقصد بها أنها مقارنة للغة تقوم على أساس التواصل داخل المجتمعات البشرية.

** الوظيفية التعبيرية: وهي وظيفة اللغة الأساس وتتفرع عنها القدرة على التعبير والإقناع وغيرها.

*** القدرة التواصلية: وهي القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية عامة، وتشمل كلّ المعارف اللغوية والخطابية التي تمكنه من إنتاج أي خطاب وفهمه وتحويله، إمّا ترجمة أو تفسيراً أو تأويلاً.

**** بنية اللغة: وهي تحكم الوظيفة عامة وبنية ما يمكن أن يُنتج داخلها من أنماط خطابية في التزامن أو التطور.

للمزيد حول بعض المفاهيم والمصطلحات، يُنظر المليطان، محمد الحسين: نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم. ص19.

خُصَّ المتوكل إلى مبادئ النحو الوظيفي التي تتمحور حول المنطلق المنهجي والموضوع والهدف، إذ يقول: "المبادئ العامة التي تعتمد عليها نظرية النحو الوظيفي: مبادئ تتعلق بالمنطلق المنهجي، ومبادئ تهتم موضوع الدرس، وأخرى تخص الهدف المروم تحقيقه"⁽¹⁾. وتتفق النظرية الوظيفية عموماً والنحو الوظيفي (الوظيفية المثلى) خاصة في ثلاث وظائف أساسية، وهي: الوظائف التركيبية، الوظائف التداولية، الوظائف الدلالية. إذ ارتبط مفهوم أحمد المتوكل للوظيفة بمفهومين، هما: الوظيفة علاقةً، والوظيفة دوراً. ويتمثل ذلك "حين يرد مصطلح الوظيفة دالاً على العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة"⁽²⁾.

يتبين لنا مما سبق أن الوظائف تُكوّن علاقات بين المكونات، ويُبحث عن وظيفة العلاقة التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو المركب، وهذه العلاقة قد تكون "دلالية كعلاقة (منفذ، مستقبل...)"، أو تركيبية كعلاقة (فاعل، مفعول)، أو تداولية كعلاقة (بؤرة، محور...)"⁽³⁾. ويقصد بالدور: "الغرض الذي تُسخرُ الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه"⁽⁴⁾. وانطلاقاً من رأي المتوكل نفهم أن الوظيفة عنده تنقسم إلى قسمين: الوظيفة التي تمتلكها اللغة، والوظيفة كعلاقة باعتبارها الرابط بين مكونات الجملة أو المركب، لأنَّ هناك نظريات تنطلق وظيفتها من الوظيفة التي تمتلكها اللغة، في حين هناك نظريات تنطلق وظيفتها من العلاقات التركيبية، والتداولية، والدلالية.

▪ ثانياً: الدراسة التطبيقية

سعت نظرية النحو الوظيفي لدراسة بناء الجملة من حيث الوحدات اللغوية وغير اللغوية داخل الخطاب وخارجه، بوصفها وسيلة وأفعالاً لغوية متعددة يستعملها متحدثو اللغة الطبيعية للوصول إلى أغراضهم، كما يتحقق إنشاؤها في هذه النظرية بوساطة بنى ثلاث، هي: البنى الحملية، والبنى الوظيفية، والبنى المكونية. إذ تتكفل ثلاثة أنساق في إنتاجها متمثلة في قواعد الأساس وإسناد الوظائف وقواعد التعبير. ووفق ما سبق يطرح المتوكل ما أطلق عليه (الجهاز الواصف)، والشكل الآتي يُمثل ذلك⁽⁵⁾:

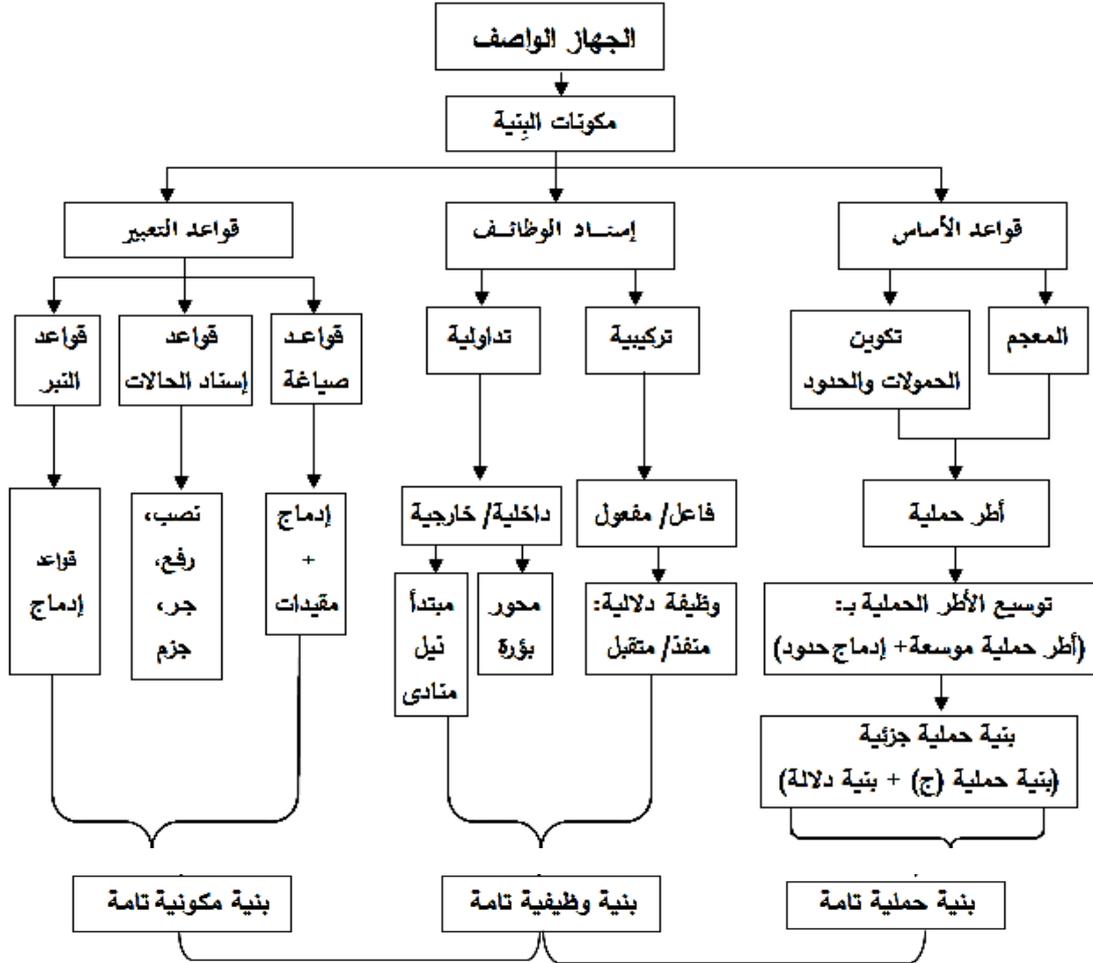
(1) ينظر المتوكل، أحمد: المنهج الوظيفي في البحث اللساني. ط1، دار الأمان، الرباط، 2006، ص245.

(2) المتوكل، أحمد: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات. ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، 2005، ص21-22.

(3) المتوكل، أحمد: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري). ط1، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص139.

(4) المرجع السابق نفسه، ص23.

(5) يُنظر المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية. ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985، ص80-85.



تشمل البنى الوظيفية وظيفتين أساسيتين، هما: وظيفة رئيسة حدود وظيفة (الفاعل)، وثانوية تستند إلى وظيفة (المفعول)، وتُسنَد هاتان الوظيفتان وفقاً للتركيب الذي يتخذه المتكلم بالنظر إلى الواقعة التي يدل عليها المحمول (1). ولا يمكن لهذه الوظائف أن تؤدي وظيفتها الكلية، إلا إذا أُسندت إلى الوظائف الدلالية كونها تُحدّد وظيفياً بتحديد الواقعة التي يدل عليها المحمول، فوظيفة الفاعل تُسنَد للحدود الحاملة للوظائف الدلالية (المنفذ). أما وظيفة المفعول فتُسنَد إلى الحد (المُستقبل)، ولكي تتضح العناصر السابقة، لنأمل المثال في جملة (ركل سالم الكرة)، فالفاعل (سالم) حامل للوظيفة الدلالية (المنفذ)، والمفعول (الكرة) حامل لحد (المُتقبل) (2). إذن، وظيفة الفاعل والمفعول عنصران أساسيان ومشكّلان للبنية الوظيفية التركيبية، ولا تتحقق وظيفتهما إلا بإسنادهما للوظائف الدلالية.

تعدّ الجملة في نظرية النحو الوظيفي حملاً يتضمن محمولات وموضوعات داخلية وخارجية عدّة، أسهمت في إنتاج تقسيمات جديدة متكوّنة من أطر تركيبية مختلفة باختلاف طبيعة المحمول، إذ قسّم

(1) المتوكل، أحمد: الوظيفة بين الكلية والنمطية. ط1، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003، ص172.

(2) ينظر المتوكل، أحمد: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص. د.ط، د.ت، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ص107-108.

المتوكّل الجُمْل إلى جمل ذات محمول فعلي، وجمل ذات محمول غير فعلي⁽¹⁾، وسنوضح ذلك فيما يلي:

أ- **الجملة ذات المحمول الفعلي**: يقصد بها الجملة الفعلية التي تتميز ببنية موقعية، تشمل محمولا فعليا يرد في الموقع الأول، ثم يليه الفاعل مباشرة⁽²⁾. ويأخذ محمول هذا النوع من الجمل ثلاث صيغ (الماضي، المضارع، الأمر)، وتتحقق هذه الصيغ بالفعل ذاته (تام) حسب أنواع المخصصات في الجمل سواء أكانت زمنية أو وجهية أو إنجازية، إذا كانت صيغته مجردة ماضية أو مضارعة أو بأفعال مساعدة أو أدوات تسبقه، فتصبح صيغته مضافة غير تامة دالة على زمن ما⁽³⁾.

ب- **الجملة ذات المحمول غير الفعلي**: تختلف صياغة الجملة ذات المحمول غير الفعلي عن الجملة ذات المحمول الفعلي لأنّ محمولها ينتمي إلى مقولة الاسم أو مقولة الصفة أو مقولة الظرف⁽⁴⁾. وهذا يُفضي لنا ثلاثة أصناف من الجمل: الجملة الاسمية، والجملة الوصفية، والجملة الظرفية. والدلالة المقترنة بالجمل الاسمية هي التي تحدد أصناف المحمولات، ففي قولنا: (عليّ معلّم) إنّ المحمول (معلّم) دلّ على الاسمية. أمّا قولنا: (خلودٌ جميلةٌ) فإنّ المحمول دلّ على الجملة الوصفية بدليل (الصفة)، وفي قولنا: (السفرُ غدا) نجدُ الظرفَ (غدا) قد دلّ على الجملة الظرفية.

نستنتج أنّ المحمول الفعلي يحقق أربعة مخصصات، هي: المخصص الزمني الذي يتعلق بالأزمنة الثلاثة (ماض، حاضر، أمر). والمخصص الوجهي المتعلق بالإثبات، النفي، التعجب، الدعاء، الشرط. والمخصص الإنجازي الذي تتدرج فيه الجمل الخبرية والتراكيب التعجبية. والمخصص الوجهي الذي يتحقق بأفعال الشروع والمقاربة والتحوّل.

ويأتي المحمول الفعلي أيضا بصيغة الفعل، فيأخذ صيغته من المخصصات التي يحققها بذاته، ولا يعتمد دائما على الأدوات والأفعال المساعدة إلا إذا جاء محموله غير تام أو مقترنا بأدوات النفي والإثبات وأداتي (السين وسوف). أما المحمول غير الفعلي فيأتي في تراكيب اسمية فقط، ويكون اسما أو صفة، أو ظرفا، وتتحقق مخصصاته بوساطة أدوات وروابط مختلفة سواء أكانت فعلية أو ضميرية أو موقعية. ولتتضح الصورة النمطية لهذه التوزيعات والأنماط، لنأمل الشكل الآتي:

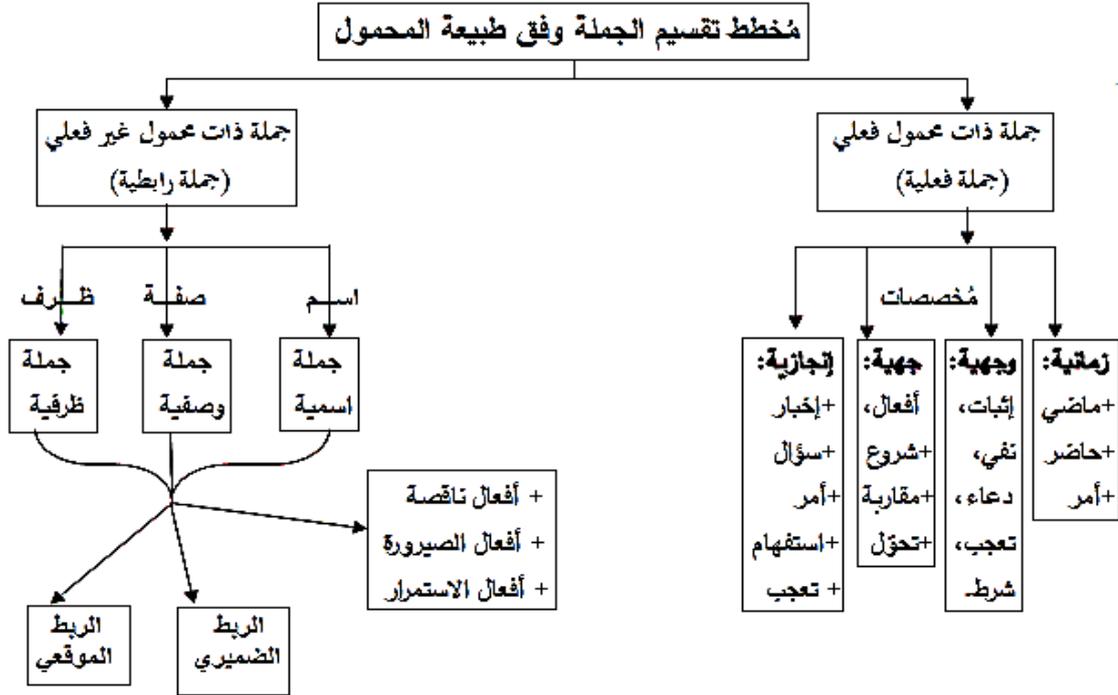
(1) المتوكّل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص82.

(2) المرجع السابق نفسه، ص82.

(3) المتوكّل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص87.

(4) المرجع السابق نفسه، ص326.

الشكل (2): نوعا الجملة الحملية



بناء على المحددات السابقة، فإنَّ الباحث قَسَمَ الجمل التي جاءت فيها أساليب الاستفهام في سورة الكهف؛ لدراسة بناء الجملة الداخلة في هذه التراكيب، المكونة جملا تحمل مكوناتها وظائف تركيبية ودلالية وتداولية. وعلى التقسيمات التي اعتمدها نظرية النحو الوظيفي، والمتمثلة في تقسيم الجملة بحسب طبيعة المحمول. وفيما يلي بيان الشواهد (الآيات القرآنية) وتحليلها وفق نوعي البنى الحملية الفعلية وغير الفعلية.

أولاً: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية فعلية في صيغة الماضي.

➤ **النموذج الأول:**

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف 37-38].

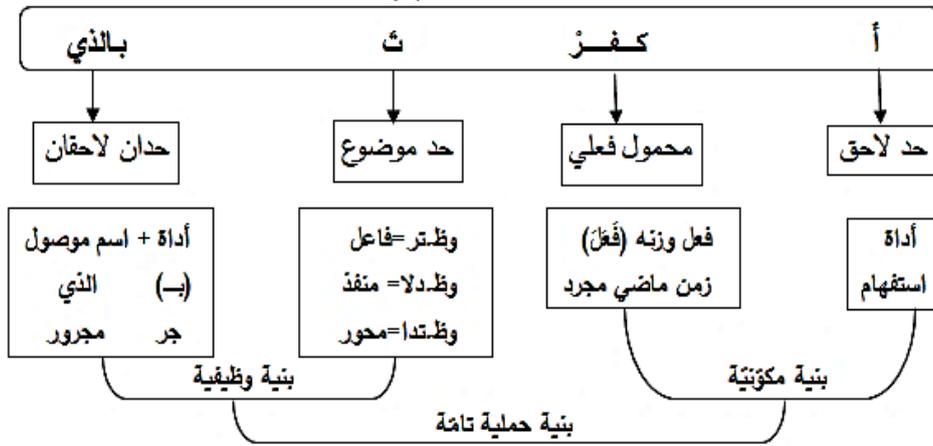
إنَّ هذه السُّلمية تشكلت مكوناتها في هذا الخطاب الموجّه من العبد المؤمن في قصة صاحب الجنتين والعبد الكافر وحوارهما القائم على ما جاء من إجابة العبد المؤمن، المتمسك بالإيمان وعبادة الله وحده، للرجل الكافر واعظاً له، وزاجراً عما هو فيه من كفر لله واغترار، وذلك بالتركيب الاستفهامي الذي لم يأت على حقيقته، لأنَّ صاحب كان يعلم أنَّ صاحبه مشرك بدليل قوله تعالى في سياق الخطاب: (ولا أشرك بربي أحداً) (الكهف، الآية 37)⁽¹⁾، لذلك برز الاستفهام التعجبي المشحون بالحجاج في سياق الآيات الكريمة السابقة. وتكمن فاعلية

(1) يُنظر: ابن عاشور، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت1390هـ): تفسير التحرير والتنوير. دار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج8/ص374. وأبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ): تفسير البحر المحيط. ط1، مطابع النصر الحديث، الرياض، (د.ت)، ج7/ص450. وابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم. ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ج2/ص1130.

الإقناع في تعجب العبد المؤمن من أمر صاحبه الذي كفر بالله تعالى، وحجب النعم التي أنعم بها عليه، وفي المقابل العبد المؤمن، لذلك جاءت عناصر الجملة والتراكيب المتعاضدة معها عبر السياق الحواري المُبين لحال الفريقين (صورة الرجلين)، ذلك أنّ الكفار يعيشون في الخير والنعيم، لكنهم جحدوا بهذه النعم، وأشركوا بالله، بينما المؤمنون يعيشون في فقر لكنهم أطاعوا الله وآمنوا به؛ لتساهم هذه العناصر وفق مستوياتها بإثارة تعجب السامع والتأثير فيه.

تكوّن أسلوب الاستفهام "البنية الحمليّة" (أكفرت...)) في الآية الكريمة من محمول فعلي (كفّر)، وحد موضوع متّصل بالمحمول الفعلي (ت) الذي يدل على تحقق الواقعة الدالة على العمل، لأنّه جاء بصيغة الماضي المجردة التامة وعلى وزن (فَعَلَن)، فحقق: مخصّصه الزمني الدال على الماضي، والمخصّص الوجهي المتمثل في (الهمزة) التي دخلت على هذا المحمول، ولما جاءت به (أداة الاستفهام/ البؤرة) من إنكار عن طريق الاستفهام. والمخصّص والإنجازي في الإنكار والتعجب. وجاء الحد اللاحق (أ) في أول هذه البنية، ثم تبعه حد موضوع الضمير المتصل (ت) حامل للوظيفة التركيبية (فاعل) والوظيفة الدلالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور). وبناء لما سبق، فإنّ السّلمية لهذه البنية الحمليّة التركيبية الدلالية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح (أ) + كفر (ف) <مض/ تا/ واق < + (ت) حد <مو/ض.مت/فا/منف/مح<...)). ويُمثّل المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحمليّة) للنموذج السابق:

الشكل (3): تركيب الاستفهام في الآية (37)



أمّا الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاستفهامية (أكفرت...))، فإنّ القوة التي تحققت في هذه البنية تكوّنت من أداة الاستفهام (أ/ الهمزة) التي خرجت إلى قصد الإنكار والتعجب، فالفاعل (المنفذ) أدى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، فترتب عليه تمثّل معنى القوة الإنجازية المستلزمة في هذا السياق، وفي ظلّ هذه الوظيفة التداولية شكّل الاستفهام بؤرة مقابلة؛ إذ إنّ "الاستفهام —(هل، والهمزة) يعقّد في ذهن السائل مقابلة بين مكونين يُشكّ في أنّ أحدهما المكوّن الأساس للبؤرة الجديدة"⁽¹⁾.

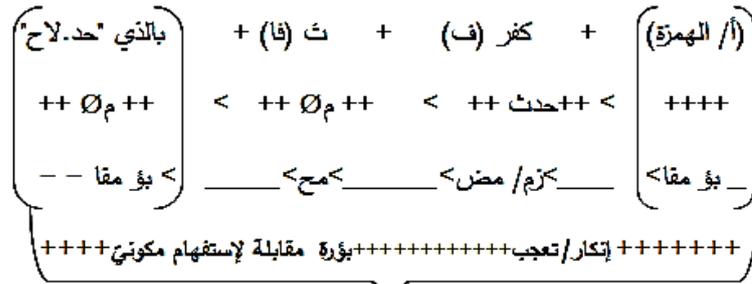
(1) المتوكل، أحمد: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية. دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 127-128.

إنَّ مكونات البنيات التركيبية السابقة (أ+ كفر+ ت+ الذي+ خلقك+ ...) تعدُّ مفتاح الانسجام في بناء الحوار الذي يُشكّل ظاهرة بين آيات السورة المسبوق بـ (القول) والفعل المضارع الصريح الدال على ذلك في (يحاوره)؛ ثم شكّل هذا الأسلوب اللغوي أداة حجاجية قائمة على الإنكار، "لأنَّ كفر المرء بخالق نفسه منشأة للتعجب ومثار العجب"⁽¹⁾. أمّا سبب مجيء فعل هذا التركيب ماضوياً فلدلالة على إثبات تحقق الذنب الذي اقترفه الرجل الكافر، ولإثبات صحة الإنكار، وكلي لا يُتاح له المجال أن يُقرَّ بغير ذلك، تبعه الحد الموضوع (تاء المخاطب) الدال على أنَّ المنفذ الجاحد الذي كان محور هذا الحجاج لا يُقدّم شيئاً بإنكاره تجاه الحدّ اللاحق الأقوى من سابقه الدال على التواضع (بالذي)، فالخطاب في موطن الشاهد هو تذكير للكافر، متحقق بالعناصر السياقية في الآيات الكريمة. وأدت صلة الموصول في الحدين اللاحقين (بـ+ الاسم الموصول) ما جاء في مضمون الصلة (خلقك من تراب...) تذكيراً للكافر بوضاعة أصله التي تفرض عليه التواضع وتبطل ما كان من تكبر.

ولعلَّ الاسم الموصول جاء دون غيره من النظائر الدالة على ذات الله عزوجل؛ تأكيداً على فكرة التواضع مقابل التكبر، وبياناً لحقيقة نشأته منذ أن كان تراباً وضيعاً حتى صار رجلاً، لذلك يُفترض أن يكون هذا التواضع جديراً بأكمل العبادة والاعتراف بفضل الإيجاد والخلق والتفضيل، فاستلزم العنصر اللاحق (الحد الموضوع) حضور العناصر الوظيفية السابقة مترابطة معاً، وذلك تذكيراً بأصله المتتالي مع ما أبدى من غرور وتكبر، فكان

الشكل (4): تحليل تركيب الاستفهام

مضمون الصلة تهكماً بسخافة هذا العقل وتحقيراً لصاحبه، ولعلَّ السُّلم الحجاجي الذي بُني في سياق الآيات انسجم مع الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية المستسقاة من السياق وعناصره:



قوة إنجازية مستلزمة

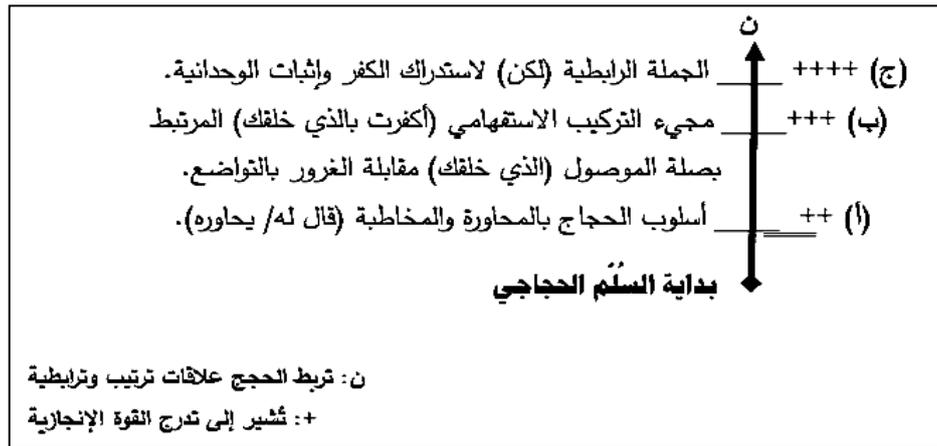
مثلَّ أحد المكونين (تاء المخاطب، والموصول "الذي"/الحد اللاحق) البؤرة الجديدة، لكن الاستفهام بالهمزة حوّل هذه البؤرة إلى بؤرة مقابلة من الإنكار الذي جاء به. أمّا مجال عمل الاستفهام الداخل على البنية الخبرية

(1) ينظر باشا، أحمد بن سليمان بن كمال: أسرار النحو. تج: أحمد حامد، منشورات دار الفكر، عمان، 1991، ص302.

فكان يُركِّز على استقهام المكوّن الحلمي؛ لأنّ أداة الاستقهام جعلته يتسلطّ على الحمل (التاء المتحركة)، لأنّه هنا الفاعل والمنفذ والمحرور. أمّا (الهمزة+ اللاحق/ بالذي) فحوّلها إلى البؤرة المقابلة.

يحصّل التعالق الحجاجي "في الخطاب الحواري بين فعل رئيسي وآخر مكمل" (1)، وبهذا فإنّ القول والحوار (قال/ يحاوره) مثلاً فعلاً رئيساً في بناء السلم الحجاجي، ثم شكّلت البنية الحملية الفعلية (أكفرت بالذي خلقك...) الفعل المكمل لهذا البناء، ولعلّ ما جاء من تتابع تكراري في الآية (من، ثم، من، ثم) أعطى ذلك السلم امتداداً يُظهر الوشائج الرابطة بين المراحل التي يمرّ بها خلق الإنسان وحياته، والممثلة للحجة الدالّة على كسر الغرور مقابل التواضع والعظمة في الوقت ذاته. أمّا البنية الرابطة في الآية (38) فتتمثّل توصل المتكلم إلى المعنى الأهم (هو الله ربي)، لأنّ الأصل (لكن أنا الله ربي)، فحذفت الهمزة في (أنا) من باب التخفيف وزيادة التواضع مقابل التكبر والغرور، وطلباً للخفة وكثرة الاستعمال. حيث أدغمت إحدى النونين في الأخرى نطقاً (2). وهذا الجانب نفسي تمثّل في محاجة هذا العبد المؤمن للكافر، وكأنّه يشعر بالعزة والقوة حينما يرتبط تواضعه وأمره بالله تعالى. والفضاء الدلاليّ المكون للقوة الإنجازية المستلزمة في بناء الوظيفة التداولية، يُسهم في تشكيل البؤرة المقامية المقابلة، إذ أدّى نمطاً تعالقياً بين الأنماط الخطابية بوساطة الربط الحجاجي بين الحدود السابقة واللاحقة لتركيب الاستقهام، فالمتأمل في الآيات الكريمة يجد في قوله تعالى: (لكنّنا هو الله ربي) الرابط الحجاجي وفق مقارنة الفعل الخطابي في نظرية النحو الوظيفي، وهو الرابط (لكن) الذي جاء للاستعمال الحجاجي "بالانتقال من غرض إلى آخر على سبيل الاستدراك" (3)، فهنا جاءت بؤرة الإنكار والجحود وإثبات ذلك على العبد الكافر مقابل بؤرة الغرض الآخر المتمثّل بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإليك البنية الحجاجية لخطاب المحاورة:

الشكل (5): بناء السلم الحجاجي



(1) زيغد، سعيدة علي: تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي. ط1، الأردن، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، 2014، ص153، 161.

(2) القيسي، مكي ابن أبي طالب: العمدة في غريب القرآن. تح: يوسف المرعشلي، ط1، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1981، ج1/ ص133.

(3) زيغد، سعيدة علي: تحليل الخطاب الحواري في نظرية النحو الوظيفي. ص186.

إنَّ ما جاء في النقطة (أ) زاد في حجم القوة الإنجازية الحجاجية للبؤرة الاستفهامية (ب) مع استدراك الكفر كما جاء في النقطة (ج)، وهذه المكونات انسجمت معا في بناء العلاقات الخطابية الحجاجية، ورصد بناء السُّلم المؤدي إلى بيان الغرض من التركيب الاستفهامي وفق تحليل العناصر في ضوء النحو الوظيفي، الذي جاء لاستدراك موقف الكافر (الهمزة/مقابل/لكن)، حيث يقتضي علم المؤمن المسبق بكفر صاحبه (صاحب الجنتين) خروج الاستفهام للإنكار والتعجب، واستدراك ذلك الإنكار بإثبات ما ينكره المخاطب ويرفضه من المتكلم.

➤ النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾. [سورة الكهف، 102].

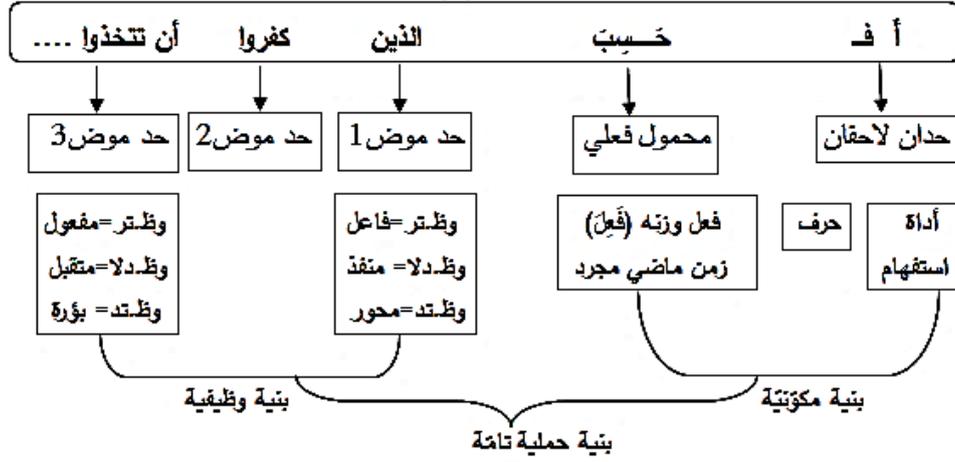
جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحجاج القرآني؛ لبيان بطلان دعوى المشركين الكافرين الذين اتخذوا بعض الأولياء والأنبياء شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنَّ لهم أولياء ينجونهم من عذاب الله، وهم قد كفروا بالله ورسله، فيخاطبهم الله عزوجل على وجه الاستفهام والاستنكار المتقرر بطلانه في العقول (أفحسب)، أي لا يوالي ولي الله معاديا لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابها لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41)﴾ (سبأ، 40-41). فمن زعم أن يتخذ ولي الله وليا له، وهو معاد لله، فهو كاذب. والمعنى الظاهر أن هذا الحسبان باطل. أمَّا سياق الآيات الكريمة المتعاضدة مع مواطن الشاهد عبر البنية التركيبية المكونة لأسلوب الاستفهام تُبين لنا أنَّ من يتخذ من دون الله وليا ينصره ويواليه ظلَّ خائب الرجا⁽¹⁾. لذا تكوَّن أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة من حدين سابقين وهما: (همزة الاستفهام، والفاء)، ومحمول فعلي (حَسِبَ)، وحد موضوع منفصل عن المحمول الفعلي هو الاسم الموصول (الذين) الدال على تسفيه أفعال هؤلاء الكافرين. ولبيان المخصصات التي حققتها البنيات المكونية للمحمولات السابقة في الآية الكريمة، نجد:

- أنَّ المحمول الفعلي (حسب) حقق المخصص الزمني الدال على الماضي.
- أنَّ الحد السابق (الهمزة) التي دخلت على المحمول الفعلي حقق المخصص الوجهي والإنجازي المتمثل فيما جاءت به الأداة من إنكار لظنهم ونفي لاتخاذهم دون الله نصيرا وعونا.
- ثم تبعه حد موضوع (الضمير المنفصل/الذين) الحامل للوظيفة التركيبية (فاعل) والوظيفة الدالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور).
- وتبع ذلك بعد عدة حدود موضوعات الحد (أن تتخذوا) وهو المصدر المؤول (اتخاذكم) الذي يحمل الوظيفة التركيبية (المفعول) والوظيفة الدالية (متقبل).

(1) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تح: عبد الرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ص487.

- وبناء لما سبق، فإنَّ السُّلمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح (أ) + حسب (ف) مض/ تا + (الذين) حد(مو/ض. منفص/فا/منف/مح<...)).

جاء الاستفهام بعد عرض الحقيقة ومعرفتها، إذ لا يعود استفهاما على المفهوم الأصلي له، فلا يقصد الاستفهام على حقيقته، لأنَّ المكونات السابقة خرجت لمعنى النفي بالحد اللاحق للفعل، وهذا استنكار لفعلهم. وهو تعقيب على هذا التقابل بالتهكم اللاذع والسخرية المريرة، حيث ناسب الظن ما اتخذوه. ويُمثِّل المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحملية) للنموذج السابق:



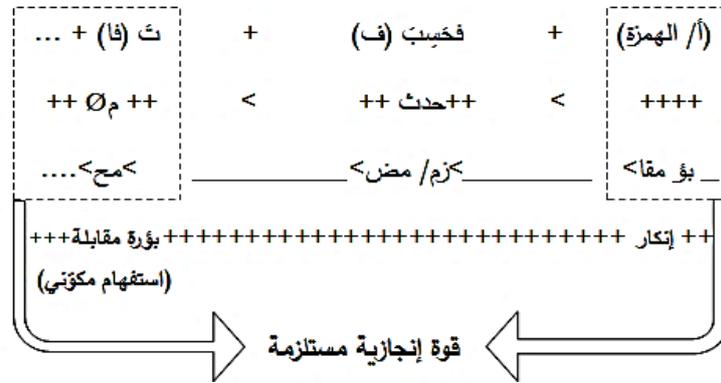
إنَّ السُّلم الحجاجي الذي يمكن بناؤه في السياق يتطلب حضور موطن الشاهد في السياق كاملاً، والبدء بالماضي في (حسب) كونه جاء من الأفعال الحكمية الإقرارية، إذ بدأ الحجاج بالحد اللاحق للمحمول الفعلي، المسبوق بأداة الاستفهام للإنكار والتوبيخ. وأمّا مجيء الفاء الاستثنائية بعد الهمزة وفق هذا الترتيب فذلك لأنَّ الاستفهام كان لطلب التصديق (أي تعيين النسبة)، ولأنَّ الجملة مما يُجاب عنها بـ(نعم) أو (لا). والنسبة هنا تعني قيام الذات الفاعلة بالفعل، ولما كان نظام الجملة الاستفهامية يقتضي بأن تنصدر أداة الاستفهام ويليهما المسؤول عنه، فعلاً أو اسماً أو زماناً أو مكاناً أو حالاً⁽¹⁾. ومناط الاستفهام في البنية الحملية هو الفعل المحقق للمخصص الزمني الدال على الماضي، لا مَنْ قام بالفعل، مما يعطي حيزاً كبيراً للعناية بالفعل إشارة إلى الأحداث. وتشكَّلت الوظيفة التداولية للتركيب الداخلي على الجملة الاستفهامية (أفحسب الذين...) بالقوة التي حققتها هذه البنية المكوّنة من أداة الاستفهام (أ/ الهمزة) التي خرجت إلى قصد الإنكار توبيخاً لهم. أمّا الاسم الموصول "الذين" (الفاعل/ المنفذ) فأدى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، وبما أنَّ الاستفهام بالهمزة يعقّد في ذهن السائل مقابلة بين مكونين يُشكُّ في أنَّ أحدهما المكوّن الأساس للبؤرة الجديدة، بالتالي ترتب عليه تمثُّل

(1) المخزومي، مهدي بن محمد: في النحو العربي، نقد وتوجيه. المكتبة العصرية، بيروت، 1964، ص275.

معنى القوة الإنجازية المستلزمة بسبب دلالة الهمزة في هذا السياق إضافة إلى العنصر الزمني الدال على الماضي والمحور (الفاعل). وفي ظل هذه الوظيفة التداولية جاء الاستفهام بؤرة مقابلة مع الهمزة.

ومثّل المنفذ/ الفاعل (الذين) البؤرة الجديدة، إذ حُوِّلَت هذه البؤرة إلى بؤرة مقابلة، بسبب تعاضد الإنكار مع ما جاء به الاستفهام. أمّا مجال عمل الاستفهام الداخل على البنية الحملية الخيرية فكان يُركِّز على استفهام المكوّن الحلمي؛ لأنّ أداة الاستفهام جعلته يتسلطّ على المكوّن (الذين)، كونه الفاعل والمنفذ والمحور والبؤرة الجديدة. أمّا (الهمزة+ المحور "فا/منف) فحوّلها إلى البؤرة المقابلة. وبناء على ما سبق يُمكن بناء البنية السُّلميّة للوظيفة التداولية بناء على الوظيفتين التركيبية والدلالية السابقتين على النحو الآتي:

الشكل (7): تحليل تركيب الاستفهام



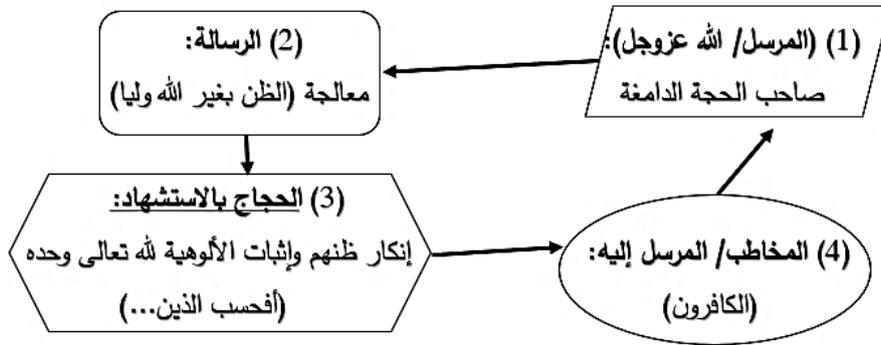
إنّ القصد في الاستفهام لم يأت على حقيقته بل هو استتكار لفعالهم وحالتهم تلك. "وتقدّم حرف الاستفهام على الفاء؛ لأن للاستفهام صدر الكلام وهو كثير في أمثاله، والخلاف شهير بين علماء العربية بأنّ الاستفهام مقدّم من تأخير، أو أنّ العطف إنما هو على ما بعد الاستفهام، فحذف المستفهم عنه لدلالة المعطوف عليه، فيقدّر هنا: أمنوا عذابي فحسبوا أن يتخذوا...، وأول القولين أولى... والاستفهام إنكاري، والإنكار عليهم فيما يحسبونه يقتضي أنّ ما ظنوه باطلا، أما نظريه فقولته تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾ (العنكبوت، الآية 2). ويتضمن الاستفهام الزمني الحاضر (يتخذوا)؛ للدلالة على مقابلة الظنّ والشك بنقّة من غير الله تعالى بالفعل المنكر (الاتخاذ)، وليؤكد الله تعالى على تقديم دليل لهم ينسف به إنكارهم أي حسبان أو ظنّ.

وجاء التركيب الاستفهامي يمثّل الحجاج بالاستشهاد، لأنّ الغاية منه توضيح القاعدة من الله تعالى، وتأكيديه أنّ الكفار اتّخذوا من دونه قربانا وأولياء فعبدوا غيره، لذا قدّم سبحانه دليلا ساطعا لهم. وأفادت المحمولات

(1) بوكليش، وداد: الاستفهام في سورة الكهف، دراسة أسلوبية، مجلة روافد المعرفة، جامعة الزيتونة، كلية الآداب والعلوم - تزهونة، العدد (3)، 2016، ص162.

وحدودها التأكيد على وجود الله ووحدانيته، وأنه هو صاحب الحجة القاطعة، وأن هذه الحجة التي تثبت ألوهيته وربانيته ووجوده دون سواه خالقا لهذا الكون، ومعينا للمحتاج والمتوكل، فهو المرسل في هذا الخطاب. أما المخطط الآتي فيُمثل ذلك:

الشكل (8): بناء السُّلم الحجاجي



ثانيا: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية فعلية في صيغة الحاضر.

➤ النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) ﴾ [الكهف: 71-75].

في الآيات الكريمة السابقة إخبار عن موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر) عليه السلام في رحلتها طلبا للعلم⁽¹⁾، وهي تجمع بين الإقرار بأمر (الرسالة) والاعتذار من أحد عناصر الخطاب، فجاء أسلوب الاستفهام المخطوط تحته -البنية الحمليّة- (قال ألم أقل...) في الآية الكريمة مكوّنا من محمول فعلي (قال)، وحده الموضوع (الضمير المستتر "هو")، تبعه الحدان اللاحقان (همزة الاستفهام، وأداة النفي)، والمحمول الفعلي (أقل) الدال على صيغة المضارع المجردة، وحده الموضوع المستتر (أنا). لذا حقق المحمول الفعلي المخصص الزمني لهذه البنية

⁽¹⁾ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ): تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ج2/ص735-736.

الدال على الحاضر. وقد حقق المخصص الوجهي المتمثل في (الهمزة) لبيان التقرير بالإخبار والإثبات المتموضع بالعمل (القول)، والمخصص الإنجازي في الاستفهام. لذلك للبنية المكونية وظائف ترتبط معا، ومتمثلة بما يأتي:

1) المحاجبة الأولى والثانية بفعل الخطاب:

- فعل ← قال ← مخصص زمني ماض.
- فاعل ← الضمير المستتر (هو) ← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ).
- وبناء لما سبق، فإنَّ السُّلمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي: ((قال (محم.فع) <مض/ تا > + (ت) (حد.موض) <ض.مس/فا/منف > (...)).

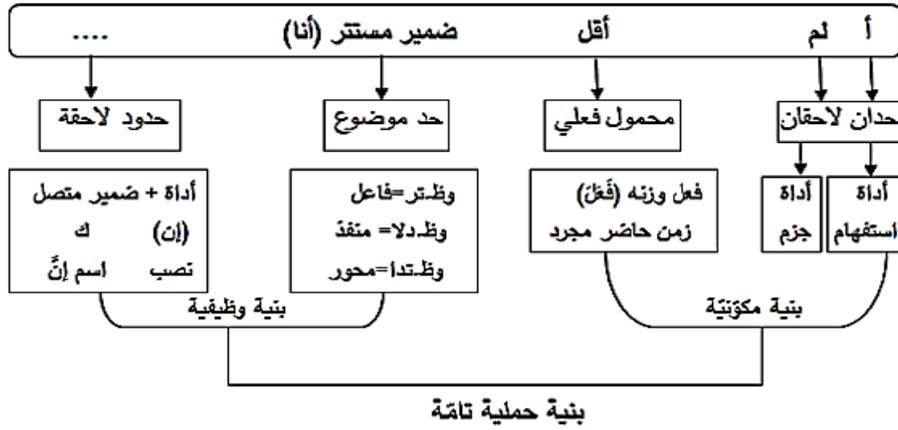
2) أسلوب الاستفهام (ألم أقل...):

- حدان لاحقان ← الهمزة، وأداة الجزم (لم) ← التقرير والإثبات.
- محمول فعلي (فعل) ← أقل ← دلالة الزمن الحاضر، الدال على عمل (القول/ الإخبار).
- حد موضوعي (فاعل) ← الضمير المستتر (أنا) ← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ).
- وبناء لما سبق، فإنَّ السُّلمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي:
(حد لاح 1 (أ) + حد لاح 2 (لم) + أقل (محم.فع) (ف) <حض/ تا > + (حد.موض) (أنا) > ض.مس/فا/منف/مح < (...)).

إنَّ الحدَّين (أ/ لم) جاءا للدلالة على إقرار المخاطب/ المرسل إليه، أمَّا المخصص الدال على الحاضر (أقل) فكان لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرَّ نفيه، وذلك بإثبات الخبر. وجاءت الهمزة الظاهرة في التركيب الاستفهامي تشكُّل نمطا وظيفيا، خاصة مع تتابعها مع غيرها من الحدود، لذا كان الأثر في موطن الشاهد واضحا، حيثُ الاستفهام التقريري التعريفي باللوم على عدم الوفاء بما ألتزم، أي تُقرُّ المخاطب بعدم الصبر والاستطاعة. أمَّا دخول الحد الأول (الهمزة) على الحد الثاني أداة النفي (لم)؛ فلإلزام المخاطب بالإقرار بأمر يعرفه، حيثُ لا يُمكنه أن يُنكر ذلك. وقد ذكر رضي الدين الأستراباذي أنه "إذا دخلت همزة الاستفهام على (لم) و(لما) فهي للاستفهام على سبيل التقرير"⁽¹⁾ من المنفذ إلى المخاطب مباشرة. ويُمثِّل المخطط الآتي مكونات البنية التركيبية (الحملية) للاستفهام في النموذج السابق:

(1) الأستراباذي، محمد بن الحسن (ت686هـ): شرح الرضي لكافية ابن الحاجب. تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قارونوس، ليبيا، 1974م، ج4/ص83.

الشكل (9): تحليل تركيب الاستفهام في الآيتين (72، 75)



أما الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاستفهامية (ألم أقل...)، فإن القوة التي تحققت في هذه البنية زائدة عن التراكيب في الآيات الكريمة السابقة، إذ اقترنت الهمزة بأداة النفي (لم) ليؤدي قصد التقرير والتأكيد. وجاء الفعل يحمل دلالاته الزمنية الحاضرة، أما الفاعل فالضمير المستتر "أنا" (المنفذ) أدى وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، فترتب عليه تمثُّل معنى القوة الإنجازية المستلزمة بسبب اقتران النفي بالاستفهام مؤدياً معنى التقرير والتأكيد على فعل القول، وهذا ما أشارت إليه العناصر التركيبية ودلالاتها في هذا السياق، وهذا المعنى الجديد الذي يستلزمه السياق. كان موطن الشاهد الأول يهدف بمكوناته كافة لإقرار المخاطب ما انتقى به الاستفهام للإيجاب، لأنه جاء بعد إخلال موسى عليه السلام عهده ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف، الآية 69). أما مجيء موطن الشاهد مرة أخرى في الآية (75)؛ للتأكيد على أنها كانت دعوة صريحة من المنفذ (أنا) للمقبل السابق محور عناصر الخطاب، وأن هذه الدعوة صريحة لموسى عليه السلام؛ كي يعترف بإخلاله وعده للخضر عليه السلام ويقرُّ له أنه كان على حق حين قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف، الآية 75)، وتتكبير المنفي (صبرا) في عدم الاستطاعة كان أبلغ في التأكيد على انعدام صبر موسى عليه السلام؛ لأن التكبير فيه شمولية لأنواع الصبر ودرجاته مع العبد الصالح، أي أن ذلك كله هو تكبير ما شاهده من أفعال العبد الصالح المنكرة، والأنبياء عليهم تغيير المنكر.

النموذج الثاني

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۗ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِينَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (52)﴾ [سورة الكهف، 50-51].

جاءت الآية الكريمة في سياق إنكار عبادة الكافرين للجن واتخاذهم أولياء لهم، فتكوّن أسلوب الاستفهام "البنية الحملية" (أفتتخذونه...) في الآية الكريمة من الحد الأول (همزة الاستفهام)، والحد الثاني (الفاء الاستثنائية)، ثم

محمول فعلي (تتخذ)، وحد موضوع ضمير متصل بالمحمول الفعلي (واو الجماعة)، الذي جاء بصيغة المضارع المجرد الدال على الزمن الحاضر التام، وبذلك حقق المحمول الفعلي المخصص الزمني لهذه البنية الدال على الحاضر، والمخصص الوجهي المتمثل في (الهمزة) التي دخلت على هذا المحمول، للتأكيد والإثبات المتموضع بنفي العمل (الاتخاذ)، وحقق المخصص الإنجازي بالاستفهام. ولهذه البنية المكونية لها وظائف تترابط معاً، وتتمثل بما يأتي:

- حدّ لاحق ← الهمزة ← نفي الاتخاذ بغير الله وبطلان فعلهم.
- حدّ لاحق 2 ← الفاء.
- محمول فعلي (فعل) ← تتخذون ← دلالة الزمن الحاضر، الدال على العمل (المتموضع).
- حد موضوع 1 (فاعل) ← الضمير المتصل (وا) ← وظيفة تركيبية (فاعل)، ووظيفة دلالية (منفذ)، ووظيفة تداولية (محور).
- حد موضوع 2 (مفعول) ← الضمير المتصل (هاء) ← وظيفة تركيبية (مفعول)، ووظيفة دلالية (مستقبل)، ووظيفة تداولية (بؤرة).
- حد موضوع 3 (مفعول) ← الاسم الظاهر (أولياء) ← وظيفة تركيبية (مفعول)، ووظيفة دلالية (متقبل)، ووظيفة تداولية (ذيل).
- وعليه، فإنّ السُّلمية لهذه البنية الحملية جاءت على النحو الآتي:
- ((حد لاحق 1 (أ) + حد لاحق 2 (ف) + تتخذ (محم.فع) (ف) <حض/ تا> + (حد.موض 1) (وا) حض.مت/فا/منف/محو <.....+ (حد.موض 2) (هـ) > ض.مت/مفع/1/مست/بؤر <+ (حد.موض 3) (أولياء) > (ح.س.ظ/مفع/2/متق/ذيل <)).

أمّا الوظيفة التداولية للتركيب الداخل على الجملة الاستفهامية (أفتتخذونه...)، فإنّ القوة التي تحققت في هذه البنية قوة إنجازية مستلزمة، إذ اقترنت الهمزة بالمنفذ والمتقبل ليؤدوا قصد الإنكار بالنفي، لأنّ التعليل هنا منحى المحاجبة العقلية بدءاً مع ما يُسلم به المشركون وإبطال ما يعتقدونه، ذلك أنهم يعترفون بأن الله هو المتفرد بخلق السماوات والأرض وخلق الموجودات. وأدت الحدود الواحق (أ/ الفاء)، والفعل المضارع والحدود السوابق (المنفذ/ واو الجماعة، والمتقبل/ الهاء)، نفي المشاركة في الألوهية سواء أكان بالخلق عن طريق نفي النتيجة بانتفاء سببها⁽¹⁾. وجاء الفعل يحمل دلالاته الزمنية الحاضرة المقترن بالمنفذ (وا)؛ ليؤدي وظيفة تداولية داخلية هي (المحور)، ولتكون الطريقة التي تبطل بها أحقيتهم بالعبادة (الرسالة/ موضع الكلام) ببطلان صفة الألوهية.

لذا جاءت البنية التركيبية بوظائفها المختلفة تدلّ على أن اللفظ المحوري هو الله عزوجل بدليل المتعلقين (من دوني)، وكأنها دعوى بالافتراء عليه شريكاً في الألوهية والعبادة، ومثّل (إبليس وذريته) مع تركيب الاستفهام

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1393هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج15/ص342.

(أفتتخذونه) موقع التجريم في محاكمة المتهم لإبطال ما يتخذون ويفترضون، وقد ظهرت عناصر المحاكمة كاملة: المتهم الأول (المشركون/ الهاء في تتخذونه)، والمتهم الثاني (إبليس وذريته/ الضمير الظاهر "ما أشهدت-هم)). وكان أساس هذه المحاكمة هو الخلق، وأسفرت إلى تأكيد جوهر العقيدة بأن الله عزوجل هو الأحق بالعبادة.

ونتبين بذلك كله عمق النفي في امتداده أفقياً، حيث وصل هذا المعنى إلى الآية التالية لموطن الشاهد، والعمق الدلالي في الأرض كونها معطوفة على السماوات، بل تعدى ذلك إلى ما بعد السماوات والأرض، لنصل إلى أن معنى النفي حينئذ قد شمل إسهاد إبليس وذريته خلق السماوات والأرض والأنفس، "أي لم يشهد بعضهم خلق بعضهم الآخر بقرينة استحالة مشاهدة المخلوق خلق نفسه"⁽¹⁾. ووفق تلك المعطيات الاستنتاجية السابقة، نجد سلم الحجاج الذي تكوّن عبر العلاقات في نفي الإشراك والاعتقاد، قد تشكّل عبر البناء الآتي:

الشكل (10): بناء السلم الحجاجي



ثالثاً: التركيب الاستفهامي المكوّن من جملة ذات بنية غير فعلية.

➤ النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۚ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (56) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)﴾ [سورة الكهف، 56-57].

(1) الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2/ ص735-736.

جاءت الآيتان الكريمتان في سياق مخاطبة الله تعالى من يتخذ الأنبياء والمرسلين ومعجزاتهم هزوا، فيخاطب النبي محمد ﷺ عن المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها، الداعية إلى الاستقامة على محجة الحق والإيمان بالله، وأنه لو جاءهم من عند ربهم أي تذكير بذلك فلن يفيدهم ولن يستقيموا أبداً على الحق، ولن يؤمنوا بما دعاهم النبي ﷺ إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم. لذلك تكون "البنية الحمليّة" (ومن أظلم...) في الآية الكريمة جملة ذات محمول غير فعلي؛ لأنّها تأتلف من محمول اسمي (أظلم) الدال على الصفة المرفوعة في صيغة التفضيل، وحدّ موضوع وهو اسم الاستفهام (من)، حيث جاء حاملاً للوظيفة الداخلية المحور. ومن حد لاحق في بدايته (الواو)، وحد لاحق بعده (ممن...).

- حد لاحق قبله ← (الواو).

- حد موضوع ← اسم الاستفهام (من) = محور (ربط موقعي)؛ للإنكار بأنه لا أحد أظلم من هؤلاء المشركين.

- محمول غير فعلي ← (أظلم) = مقولة الصفة

- حد لاحق بعده ← (ممن...).

- إنّ السُّلمية لهذه البنية الحمليّة جاءت على النحو الآتي: ((حد لاح. قب (الواو) + (من) <حد. موض/ اسم. استف/ محو> + (أظلم) محم. غ. فع <اس. ظ/ص> + حد لاح. بع (ممن) <جا+مج> (...)).

إنّ صيغة التفضيل (أظلم) المسبوقة بالمحور (أداة الاستفهام) "أوحّت بصلاية قلوب المشركين ومحاجتهم للنبي ﷺ وتمسكهم بكفرهم (... وجعلنا على قلوبهم أكنة...)"¹. والمعنى العقلي الذي زاد الحجة بيانا ووضوحا هو مجيء اسم الاستفهام متبوعا بمقولة الصفة؛ لزيادة الإقناع في ذهن المتلقي، مما يدل على إعراض الكفرة عن القرآن الكريم. هذه الصورة (ومن أظلم/ ممن ذكر بآيات ربه) التي لها أثر حجاجي في إقناع المتلقي بأن هؤلاء المشركين لا تنفعهم قراءة الخطاب القرآني أو فهمه. والحجة تبرير وتحذير من عدم سماع آيات الله تعالى، فهي كفر. أي أن نص الرسالة الربانية ثقيل على آذان المشركين. لذا جاء التركيب دالا في سياق الآيات الكريمة على تأكيد ضلال المشركين.

ولعلّ الموازنة بين موطن الشاهد الآية (57) من سورة الكهف ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، وقوله تعالى في الآية (22) من سورة السجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾، ستكشف لنا عن تعزيز الوظيفة النحوية للاستفهام، إذ إنّ الفاء تغيد الترتيب والتعقيب لا تراخي في الزمن، و(ثم) تغيد الترتيب والتراخي (يعني مهلة من الزمن). معنى هذا أن وقوع الإعراض في آية الكهف أسرع منه في آية السجدة لأنه قال (ذُكِّر... فأعرض)، وهناك قال: (ذُكِّر... ثم أعرض)، إذن معنى ذلك أن الإعراض في آية سورة

(1) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي، سوريا، ص 237. (مادة/ ظلم).

الكهف وقوعه أسرع. وذلك لما ذكر في آية الكهف من أمور تسرع في إعراضه لم تُذكر في آية السجدة، والإعراض واقع في عقب التذكير: (ونسي ما قدمت يداه)، (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه)، (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً). وهذا كله مما يسرع في إعراضهم. ولم يرد هذا في سورة السجدة ولم تُذكر دواعي تسرع في إعراضه كما ذكر في آية الكهف. لذا تؤدي البنية التركيبية الاستفهامية بالتعاضد مع المكونات السياقية الأخرى الإسراع في النفي أو التأكيد أو التقرير وغيره مما يقرّ به المخاطب في إيصال الرسالة.

النموذج الثاني

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا هُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۚ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، آية: 19].

جاءت الآية الكريمة في سياق يمثله وضع الفتية بعد أن أفاقوا من نومهم في الكهف، وأرسلوا واحدا منهم في طلب الطعام، إذ بدأت الآية بتكوين الحد الأول (فابعثوا أحداكم) التماسا بالإعفاء من أداء هذه المهمة عند المتكلم، وكأن الجملة قد قيلت بعد عدم مبادرة أحدهم النهوض بالمهمة. ثم الحد الثاني (فلينظر) المكون من محمول فعلي (ينظر) وحدين سابقين (فاء العطف/ ولام الأمر) لتمهد في ذهن المتلقي ما يقرّ به المتكلم. ثم تبعه "البنية الحملية" (أيها أزكى طعاما...)، وهي جملة ذات محمول غير فعلي؛ لأنها تأتلف من محمول غير فعلي (أزكى) الدال على الصفة المرفوعة بصيغة التفضيل، ومن حدّ موضوع وهو اسم الاستفهام (أي) مضافا إلى حد لاحق (ضمير متصل/ ها) العائد القبلي، ثم الحد الموضوع المتقبل (طعاما)، ليكون بذلك اسم استفهام حاملا للوظيفة التداولية الداخلية المحور، على تقدير: (هذا أزكى...)، وإليك تفصيل ذلك:

- حد لاحق قبله ← (فلينظر).
- حد موضوع ← اسم الاستفهام (أي) + مضاف إليه (ها).
- محمول غير فعلي ← (أزكى) = مقولة الصفة، ربط موقعي (اسم استفهام/أي).
- حد موضوع ← (طعاما...).
- إنَّ السُّلَمِيَّةَ لِهَذِهِ الْبِنْيَةِ الْحَمَلِيَّةِ جَاءَتْ عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي: ((حد لاحق. قب (بنية. حمل. فع) (فلينظر) + (أي) <حد. موض./ اسم. استف/ محو> + حد لاحق بع (ها) م. إليه + (أزكى) محم. غ. فع <اس. ظ/ص> + حد لاحق. بع (طعاما) <تميز>...)).

وأدت البنية التركيبية الاستفهامية السابقة بتعاضدها معان ووظائف عدّة، ومنها أنّ اسم التفضيل الذي تبع (أي) يعني وجود أنواع كثيرة فيكون الموصول لتحديد النوع الأزكى، وهو الأطيب، وليس الأكثر كما هو معنى

الزكاة⁽¹⁾. بل كان الأرجح في استعماله تحديد اختيار واحد فقط مما يتضمنه. ولما كان الأرجح في معنى الزكاة هو الطيبة، فإن لفظ (أي) يعكس حرص الفتية على الاحتياط في طلب الحلال من الطعام، ثم ترتب على ذلك طلب الزرق تلتفا (فليأتكم...)؛ للدلالة على تحقق ذلك التحديد كونه يشمل الأهل (أهل المدينة). أمّا الدعوة إلى التلطف (وليتلطف)؛ فللمحاذرة أثرا ضمير الغيبة بالرغم من حضور المخاطب، وكأنه تفاعل مع الحدث وتصور الرسول ﷺ قد وصل المدينة، ليزيد المعنى المعجمي شحنة بانتقاله من الحضور إلى الغياب. ثم تبع ذلك البنية الحملية الفعلية المنفية (ولا يشعرون بكم أحدا)، جاءت تتجلى فيها حالة الخوف التي كانوا عليها في صيغة التوكيد بنون التوكيد الثقيلة، والإطلاق المفهوم من لفظ (أحدا) ليشمل الكل ولزيادة دلالة الحيطة والحذر. وبهذه الحالة الانفعالية التي كان عليها الفتية من حرص وتأکید، فالأمر في (ابعثوا) ليس على وجه الحقيقة لكنّه التماس لتساوي الأمر والمأمور منزلة، وأنّ التلطف هو الحذر وحسن المعاملة. أمّا (أحدا) فتعني كلّ الناس ممن كان على عهدهم.

الخاتمة والنتائج

بعد بسط مضامين هذا البحث حول بناء الجملة في أساليب الاستفهام الواردة في سورة الكهف في القرآن الكريم، وتحليل البنى التركيبية الحملية ذات المحمولات الفعلية وغير الفعلية في ضوء سياق الفضاء التركيبي والوظيفي والدلالي لها، نخلص إلى جملة من النتائج أهمها:

- كانت تراكيب الاستفهام في سورة الكهف تحديدا في الجمل ذات المحمول الفعلي أكثر من الجمل ذات المحمول غير الفعلي، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة القوة الإنجازية المستلزمة التي تتشكّل كثيرا بفعل مقصديات الدلالة للبنى التركيبية المكوّنة لتركيب الاستفهام بين تأكيد وتقدير، أو نفي، أو إنكار، وغيرها من المعاني التي تستلزمها الجملة في مقام معين. وهذا قد ظهر في البنى الحملية غير الفعلية إلا أنه أكثر في البنى الفعلية.
- إنّ التراكيب الاستفهامية ذات البنى الحملية الفعلية الدالة على الماضي أكثر بقليل من البنى الحملية الدالة على الحاضر؛ وذلك لأن الاستفهام من منظور النحو الوظيفي يؤدي وظيفة تركيبية ودلالية وتداولية. وأنّ الوظيفة التداولية التي تستند إلى الاستفهام غالبا ما تكون إلى المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر بروزاً.
- تعدّ الوظائف التداولية في البنى التركيبية المصدّرة بأسماء الاستفهام تُبيّن مقاصد المعنى بالتعاقد معا، إذ تشكّل لدى المتلقي أنّ المُنفذ قد وُظّف القوة الإنجازية الحرفية التي تحمل اللفظ على المعنى الظاهر، والقوة الإنجازية المستلزمة التي تتطلب المعنى الجديد في سياق معين.

(1) يُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، ط1، المؤسسة الوطنية للغة والمطبوعة، الجزائر، 1990م، ج4/ص141.

- كانت الوظائف التداولية الداخلية للتركييب الاستفهامية أكثر من الخارجية في البنى الحملية ذات المحمول الفعلي، أما ذات المحمول الوصفي والاسمي فجاءت وظائفها التداولية الخارجية أكثر. ولعل ذلك بسبب طبيعة المكونات الداخلة في تركيب تلك الجمل ودلالاتها السياقية التي تأتي ضمن إطار السياق. وترتب على مجال عمل الاستفهام في البنى ذات المحمولات الفعلية تسلط الاستفهام على المكون الحلمي غالباً، مع أن التسلط على الحمل ذاته كان موجوداً.
- مثلت البنية التركيبية الاستفهامية بالتعاقد مع المكونات السياقية الأخرى الإسراع في النفي أو التأكيد أو التقرير وغيره مما يقرّ به المخاطب في إيصال الرسالة.
- أدى الفناء الدلالي المكون للقوة الإنجازية المستلزمة في بناء الوظيفة التداولية نمطاً تعالقياً بين الأنماط الخطابية، بوساطة الربط الحجاجي بين الحدود السابقة واللاحقة لتركيب الاستفهام، حيث إن الرابطة الحجاجي وفق مقاربة الفعل الخطابي جاء لإنكار الجحود، وإثبات الإيمان بالله تعالى وتوحيده.
- اقتران النفي بالاستفهام بين معنى التقرير والتأكيد على فعل القول الذي تبدأ به معظم التراكيب التي فيها أسلوب الحجاج، وهذا ما أشارت إليه العناصر التركيبية ودلالاتها في السياق، حيثُ المعنى الجديد الذي يستلزمه السياق. كان يهدفُ بمكوناته كافة لإقرار المخاطب ما انتفى به الاستفهام للإيجاب.
- التركيب الاستفهامي يُمثّل الحجاج بالاستشهاد، لأن الغاية منه توضيح القاعدة وتأكيدُها، حيث أنها تقدّم دليلاً ساطعاً. إذ كانت المحمولات وحدودها تؤكد على وجود الله ووجدانيته، وأنه هو صاحب الحجة القاطعة، وهذه الحجة تثبت ألوهيته وربانيته ووجوده دون سواه خالقاً لهذا الكون، ومعينا للمحتاج والمتوكل، فهو المرسل في هذا الخطاب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأستراباذي، محمد بن الحسن (ت686هـ): شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1974م، ج4/ص83.
- باشا، أحمد بن سليمان بن كمال: أسرار النحو، تحقيق أحمد حامد، منشورات دار الفكر، عمان، 1991م.
- بوكليش، و داد: الاستفهام في سورة الكهف، دراسة أسلوبية، مجلة روافد المعرفة، جامعة الزيتونة، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، العدد (3)، 2016م.
- تغزاوي، يوسف: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي. ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2014.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471هـ): دلائل الإعجاز، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004م.
- حسان، تمام، الخلاصة النحوية، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، والطباعة، 2000.
- حماسة، محمد، بناء الجملة العربية، ط1، دار الغريب القاهرة للنشر والتوزيع.
- الحموز، عبد الفتاح، نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، ط1، دار الجري، عمان للنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ): تفسير البحر المحيط، ط1، مطابع النصر الحديث، الرياض، (د.ت).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ): تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
- زيغ، سعيدة علي: تحليل الخطاب الحوارية في نظرية النحو الوظيفي، ط1، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2014م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
- صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- ابن عاشور، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت1390هـ): تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.
- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. مؤسسة الحلبي، سوريا.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبو الفداء (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، ط1، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.
- المتوكل، أحمد:
 - التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ط1، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، 2005.
 - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، د.ط، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط.
 - اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ط1، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.
 - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006.
 - المنهج الوظيفي في البحث اللساني، ط1، دار الأمان، الرباط، 2006.
 - الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الرباط، 1985.

- الوظيفة بين الكلية والنمطية، ط1، 2003، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003.

- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2005.
- المليطان، حسين، نظرية النحو الوظيفي: الأسس والنماذج والمفاهيم، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.
- هارون، عبد السلام محمد، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979.
- ملحق الرموز والمصطلحات المستخدمة في التحليلات وبناء السُّلَمِيَّات:

الرمز الوظيفي والمصطلح
بؤ=بؤرة // مح=محور
ف=فعل // فا=فاعل // مفع=مفعول
مح.فع=محمول فعلي // مح.غ.فع=محمول غير فعلي
تا=تام // غ.تا=غير تام
جا=جار // مج=مجرور // أ=أداة
مست=مستتر // مت=متص // ض=ضمير
مج=مجرد // ن=نكرة // ع=معرفة
اس=اسم // است=استفهام
منف=منفذ // متق=متقبل
مح=محمول // م∅=موقع محور أو بؤرة //
بؤ جد=بؤرة جديدة // بؤ مقا=بؤرة مقابلة
حد.مو=حد موضوع // حد.لاح=حد لاحق
قب=قبلي // بع=بعد.
ظر=ظرف // مب=مبتدأ // خ=خبر
<...> إشارة أقواس تحتوي عنصر.